

## من أجلي ومن أجل الإنجيل

### الأب ثيودور ستيليانوبولوس

#### نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

قال السيد المسيح للتلاميذ أنه ليس من سيتألم هو وحده، الراعي الصالح، بل هم أيضاً، كأتباعه، سيواجهون الاضطهاد وحتى الموت. لقد كان الأول الذي يتقدم ويقود. هو أول من حمل الصليب، وسار في طريق التجربة والبلاء. أما الذين اختاروا أن يتبعوا طريقه وأن يكونوا مخلصين له ويشكلوا رعيته، سيعانون أيضاً. إن تكلفة التلمذة عالية وما ينتج عنها سام أيضاً: خلاص نفوسنا.

إن كلمات الرب تتردد بقوة: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَعَ الْعَالَمُ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنِ نَفْسِهِ؟ لِأَنَّ مَنْ اسْتَحَى بِي وَبِكَلَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِي، فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدٍ أَيْبِهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقُدْسِيِّينَ. " (مرقس ٨: ٣٤-٣٨).

قال المسيح "من أجلي ومن أجل الإنجيل". لقد وضع نفسه في مركز أكثر الأشياء أهمية في الحياة. فهو إعلان الله النهائي للعالم. لم يأت ليكرز بالإنجيل فحسب، بل ليُجسّد الإنجيل بالأمانة والطاعة والتضحية بالنفس. إن رسالة الإنجيل هي رسالة عن المسيح نفسه وعمّا أنجزه لخلاصنا. إنه ملء حضور الله في التاريخ. إنه تجسيد محبة الله وغفرانه للعالم. إنه الشاهد الأول لحقيقة الله التي تألم من أجلها ومات على الصليب.

قد يتساءل الإنسان لماذا الصليب؟ جاء المسيح إلى العالم ليعلم محبة الله وغفرانه. لماذا إذن كل هذه المقاومة له والكرهية ضده التي أوصلته إلى ألم الصليب وذلك؟ ولماذا عانى الآلام والاستشهاد هذا العدد الكبير من المسيحيين الأوائل الذين بشّروا بنعمة الله ومحبتة للبشرية؟

يوحنا الإنجيلي أعطانا الجواب إذ كتب: " لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسَلِ اللَّهُ ابْنُهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينِ الْعَالَمَ، بَلْ لِيُخَلِّصَ بِهِ الْعَالَمَ. الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ. وَهَذِهِ هِيَ الدَّيْثُونَةُ: إِنَّ الثُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ الثُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيْرَةً. " (يوحنا ٣: ١٧-١٩).

"أَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ الثُّورِ". تقييم مأساوي لحالة الإنسان. لقد اتهموا المسيح بأنه كافر ومفسد لطرق الله. وبالمثل، فقد وصفوا المسيحيين الأوائل بأنهم "ملحدون" لعدم ركوعهم لعبادة تماثيل الآلهة الوثنية والإمبراطور الروماني. يمكن للشر أن يستخدم أكثر الأدوات قداسة، حتى الدين، لتنفيذ أغراضه الخبيثة.

اليوم غالبيتنا لا يخافون أن يُضطهدوا أو يتأذوا جسدياً بسبب اختيارهم أتباع المسيح والانتماء إلى رعيته. لكن هناك العديد من المسيحيين المؤمنين في أجزاء أخرى من العالم، على سبيل المثال في الشرق الأوسط والهند وباكستان وأفريقيا، يواجهون المعاناة والموت بشكل يومي. يجب أن نحفظهم في صلواتنا. يجب أن نساعدهم. يجب أن نتعلم من أمانتهم وولائهم للمسيح الراعي الصالح.

نحن نواجه أشكالاً أخرى من التجارب وطرقاً أخرى لحمل الصليب. قد يكون أعظم صليب هو أن نشاهد ونحتلم ما يحدث لأطفالنا. إنهم مغمورون بالصور والرسائل من وسائل التواصل الاجتماعي التي غالباً ما

تحيرهم وتشوّشهم، وتسبّب لهم أحياناً الأذى. طوال الوقت، نحن كأباء وأجداد نبدو عاجزين عن مساعدة أطفالنا الضعفاء في مواجهة الضغط الهائل الذي يضعه المجتمع الدهري.

بالطبع، الجواب هو العائلة المسيحية. نشكر الله على العائلات المسيحية التي تحارب موجات الكفر والشر في المجتمع. يقال إن الأسماك الحية فقط هي التي يمكنها السباحة عكس مجرى النهر. تركز العائلات المسيحية القوية على زيجات مسيحية قوية. في سرّ الزواج، يكون الزوجان المسيحيان هما سرّ الله الحيّ، ويشتركان في الحب والالتزام المتبادلين، ويجاهدان لتحقيق مشيئة الله في العائلة والكنيسة والعالم. فليبارك الله عائلاتنا ويقوّيها لتنمو وتزدهر في حياة الإيمان.

الجواب أيضاً هو اختيار الإيمان والحياة اللذين يصنعهما كل واحد منا. قال المسيح "من أجلي ومن أجل الإنجيل". لقد دعانا إلى وضعه في مركز حياتنا. لقد دعانا إلى إنكار أنفسنا واتباعه. هذا الإنكار ليس مجرد إنكار للأشياء الفردية، كأن أتخلّى، على سبيل المثال، عن أكل هذا الطعام الخاص من أجل المسيح، أو أن أتخلّى عن بعض وقت التلفزيون من أجل المسيح، أو أن أراقب لغتي من أجل المسيح. قد يكون هذا الإنكار مفيداً وصحياً لحياة الإيمان، لكنه ليس نوع الإنكار الذي تحدث عنه المسيح.

إلى هذا، هو ليس إنكاراً لذاتنا العميقة كما خُلقت على صورة الله ومثاله. إنها ليست دعوة لمحاولة محو وعينا الذاتي ونفي ذاتنا الحقيقية. في مثل هذه الحالات، نفقد الهوية ونصبح شيئاً افتراضياً، صفرًا في الوعي الذاتي. على العكس من ذلك، الله يحبّ حتى أنفسنا الخاطئة ويدعوننا دائماً إلى محبة قريبنا كما نحب أنفسنا ونعتزّ بها ونعتني بها بمعونته.

"من أجلي ولأجل الإنجيل". يدعو المسيح إلى تغيير حاسم في توجيه الذات، وتبدل جذري في النظرة، من القيم والملذات الدنيوية البحتة إلى القيم والصفات الشبيهة بالمسيح. فكروا واعملوا لإكرام المسيح. فكروا حسب أفكار المسيح لكي تكتسبوا "فكر" المسيح. اعملوا على مثال المسيح لكي تنموا إلى شبه المسيح ونضجه. أحبوا كما أحب الله حتى نثبت في محبته لأن "الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله يثبت فيه". (١ يوحنا ٤: ١٦).

ولكن كيف يمكنني التفكير والتحدث والتصرف مثل المسيح عندما يكون المسيح هو الله على الأرض وأنا إنسان ضعيف وهشّ؟ اقتدوا بالمسيح، تعلمنا القديسون، بقدر ما يمكننا القيام بذلك. نقطة البداية هي الإنجيل، قوته، بركاته، فضائله. الإنجيل هو "قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ... لِأَنَّ فِيهِ مُغْلَقٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لِإِيمَانٍ" (رومية ١: ١٦-١٧).

ما هي أكبر مشكلة في مجتمعنا اليوم؟ ماذا وراء كل هذا الغضب والانقسام؟ أليس هو هاجس تأكيد الذات، عنادنا وكبريائنا، قلة فهمنا ومسامحتنا لبعضنا البعض؟ أليس هذا هو الصخب المستمر من أجل الحقوق بدلاً من الاهتمام بنفس القدر بمسؤولياتنا كمواطنين؟

الناس (في المقال الأصلي يستعمل الكاتب عبارة "الأمريكيون" لكن الكلام ينطبق فعلاً على كل البشر: المترجم) يتحمسون للحرية. ومع ذلك، فإن الهوس الواضح بالذات، والعناد والفخر لقهرو سحق الخصوم

بأي ثمن، لا يقود إلى الحرية الفعلية التي تزدهر فيها المجتمعات. بدلاً من ذلك، تقودنا فرديتنا اللاعقلانية إلى أسر أعمق للذات الخاطئة وأهواء النفس الشريرة والكبرياء والغضب والغيرة والانتقام والبر الذاتي وكرهية الآخر التي تفسد حياتنا المشتركة وتسوّدها. نحن نبرهن صحة تحذير المسيح: نحاول أن "نربح" حياتنا بتأكيد الذات وينتهي بنا المطاف بـ "خسارة" حياتنا في الإحباط والبؤس.

"من أجلي ومن أجل الإنجيل". يدعونا الراعي الصالح إلى ممارسة صفاته المتمثلة في التواضع والتضحية والتسامح وحب الآخرين، والتي يعتقد العالم أننا من خلالها "نخسر" حياتنا. هذا جزء من تكلفة أن يكون الإنسان تلميذاً. اتركوا وراءكم ضوضاء العالم الفوضوية وقوموا بإنجاز جميع المهام، وهي نفس ما نقوم به في المنزل وفي العمل وفي المجتمع، ولكن بأمانة المسيح ومحبتته.

«طوبى للمساكين بالروح، لأنّ لهم ملكوت السمّوات.. طوبى للودعاء، لأنّهم يرثون الأرض. طوبى للجياح والِعِطاش إلى البرّ.. طوبى للرحماء... طوبى للأنقياء القلب... طوبى لصانعي السّلام، لأنّهم أبناء الله يُدعَوْنَ.» (متى ٥:٣-٩)

Source: Fr. Theodore Stylianopoulos. For My Sake and the Gospel's. Orthodox Christian Reflections. September 16, 2022. <https://skepseis.us/writings/f/for-my-sake-and-the-gospels>